

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بن يوسف بن خدة - الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

في اللسانيات النظرية

مخالفة الإعراب

بين مقررات النظام النحوي ومطالب الاستعمال اللغوي

إشراف الأستاذ الدكتور:

- محمد الحباس

إعداد الطالب:

- إلياس جوادي

لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور: عيسى بن سديرة؛ رئيسا.

الأستاذ الدكتور: محمد الحباس؛ مقرا.

الأستاذ الدكتور: أحمد حساني؛ عضوا.

السنة الجامعية 2006 - 2007

مقدمة :

اللهم باسمك نبتدي وبهديك نحتدي وبك يا معين نسترشد ونستعين.. وبعد..

فإن الإعراب مظهر تركيب في العربية، وخاصة من خصائصها المتميزة، وهو يخضع إلى جملة من الضوابط التي يقرها نظام اللغة العربية القياسية، غير أن الكلام العربي قد يعتره من المقتضيات اللغوية ما يدعو إلى الخروج عن هذه الضوابط في أحيان كثيرة، فيؤدي ذلك إلى حدوث المخالفة، ومع ذلك لا يمكن وصف أمثاله اللغوية بالخطأ، من الوجهة المعيارية، بل إن منها ما يعد مظهرا من مظاهر جمالية اللغة العربية وإعجازها الفني في آن معا.

وهو ما يطرح جملة من التساؤلات في هذا الشأن تتعلق بماهية الإعراب وحدوده المعيارية في التزامه، من جهة الصواب والخطأ، وبالمساحات المتاحة لغويا لمخالفته من الوجهة نفسها، مما يعني بأن اللغة العربية تنطوي - بطبيعتها - على مطالب تعود إلى النظام القياسي، وفي مقابل ذلك، على مقتضيات استعمالية، تستند إلى دواع متعددة تتيح للمتكلم قدرا من الحرية في مخالفة ضوابط هذا النظام، وهي ما يعرف بالمسوِّغات في عرف النحاة.

وسياق المخالفة بين المقررات والمطالب ظاهرة قديمة متجددة، إذ ترتبط باللغة نشأة وتطورا، على اعتبار أن اللغة في انتقالها من طور إلى آخر، تكتسب أنظمة وأنماطا تستقر في أذهان الناطقين بها، غير أن الممارسة لها تستدعي أداءات مستحدثة مخالفة للسائد، وفق ما تقتضيه المطالب وتستدعيه الدواعي على اختلافها، وهي في ذلك كله، تشمل مستويات اللغة جميعها؛ صوتا وصيغة وتركيبا ودلالة.

ومما يتعين عدم إغفاله في دراسة أي جانب من جوانب العربية، أنه لم تحظ لغة في الدنيا منذ أن خلق الله الإنسان بما حظيت هي به من العناية من لدن أصحابها، وبخاصة اللغويين منهم وأهل الأداء، ومن أعظم ما ورثوه لنا الوصف المستفيض للأداء القرآني من جهة وللغات العرب من جهة أخرى، أي الكيفيات المتنوعة في الأداءات الصوتية والصرفية والنحوية لعناصر اللغة. وهو جهد ارتبط منذ بداياته بفكرة الصواب والخطأ، على اعتبار أن ظواهر الخروج عن النظام اللغوي في تلك المستويات، عديدة في استعمالات العرب قديما وحديثا، ومنها السائغ المقبول الذي يجيء على وجهه، كيف كان، ومنها الملفوظ المردود الذي يجيء على غير وجهه محتمل.

فالمخالفة الإعرابية على هذا ظاهرة مجانبة لظاهر معيارية اللغة العربية، لأن هذه المعايير قواعد جاءت منظما لما استقرئ من منظوم ومنثور، وهذا ما يعني من الوجهة النظرية وجود فروق بين النظام اللغوي؛ أي المعيار،

وبين ظواهر الاستعمال اللغوي أي الأداء. فإذا كان المجاز هو كسر العلاقة العرفية بين اللفظ والمعنى الذي وضع له في الأصل، فإن ظاهرة مخالفة الإعراب كسر لنمطية التركيب النحوي في أهم تجلياته؛ متمثلة في الإعراب.

ثم هل يعد "كسر الإعراب" كما عبر عنه ابن جني، ضعفا في اللسان العربي في حد ذاته؟ أم هو وسيلة من وسائل الشعراء- في الشعر مثلاً- للتعبير عن معان خاصة زيادة على الانسجام الموسيقي وتساوي القوافي. فيغدو مرجع المخالفة بالتالي - وإن بدا على أكثرها مظهر الاقتضاء- إلى تغاير فنون القول وتنوع خصائص الكلام، بما يتيح للمتكلم مساحات شاسعة للتعبير عن أغراضه بصورة لغوية يُعتبر الترخص فيها مظهراً من مظاهر النظام في حد ذاته، وهو ما يفسر سر قناعة سيوييه وابن جني بضرورة التزام القياس على كلام العرب الذي يحتاج به في المخالفة نفسها. والتي لم تكن إلا لغرض أسلوبى عدولي مقصود.

فهذه الزاوية بالتالي هي ما أسعى لاستجلائها قدر الإمكان، وكم كنت أستشعر ثقل حمل مادة هذا البحث، إذ رغم متعته وفائدته التي كنت أحس بها، إلا أن مبتدئاً تقصر آلاته دون المراد، إحاطة واستيعاباً؛ لخصي مسائله وكثير شعابه. ولطالما تقلبت في نوازع النفس في الرضى عن العمل اليوم والانتقاص منه في الغد - على ما جاء في قول الأصفهاني المأثور-. ولعل أشد ما فيه وطأة كونه يُعنى ابتداءً بسنن العرب في إعراب كلامها وانتحاء نهجه؛ وأعظم به من باب، ثم لسعة مادته وتششت تحريجاتها في نصوص التراث؛ لغة ونحو وأصولاً وأعراب.

ورغم ما قد يبدو من أن الموضوع قُتل درسا، باعتباره يتناول مسألة اللحن الذي مس الإعراب، والذي يعد أشد ما ابتليت به اللغة العربية عبر كامل عصورها، فإن الزاوية التي يعنى البحث بدرسها وكشف ملابساتها هي زاوية متميزة، ولها تأثيرها الكبير على صورة الإعراب اللغوية في العربية، باعتباره خاصية من خصائصها المتميزة ذات التأثير الكبير في ألسنة المتكلمين، إلى الحد الذي بلغ فيه درجة اعتباره عائقاً لسانياً-وربما فكرياً- دعا بعض الدارسين المحدثين إلى التخلص منه، والواقع أنه يمثل أحد أبرز سماتها الجمالية والفنية التي تزين بها العربية، وتتفاضل بها ألسنة المتكلمين في فن الصياغة وجمالية القول، كل ذلك انطلاقاً من المساحات المتاحة والتي تتوفر على قدر كبير من حرية الإعراب ضمن ما تتيحه مقتضيات القول من مسوغات المخالفة. والمخالفة حينذاك لن تكون بحال من الأحوال سبيلاً للطعن في الإعراب، ولن يتأتى هذا، إلا حين تبين دواعيها من جهة، ويزاح الستر عن محاسن استعمالها من جهة أخرى. أو لنقل معالجتها في نسقها العام، على اعتبار أنها توازي أنماطاً قننناها الأوائل، فمضت في الأذهان قبل الألسنة، وهي - ولا شك - مظاهر قائمة بذاتها، تحتاج إلى كشف وتحري حتى لا يُغفل شيء مما نطق به لسان عربي فصيح وإن قل استعماله.

ومن هنا تكمن أهمية منحى هذا البحث، فرغم أن التأليف في مسائل الإعراب من الكثرة بمكان، إلا أن الدارسين لم يفرّدوا لمسألة مخالفة الإعراب بالذات مؤلفات خاصة تُعنى ببعدها القديم المتجدد في الآن ذاته، بين مقررات النظام النحوي ومطالب الاستعمال التي يلجأ إليها المتكلمون لدواع ونوازع ومقتضيات. فنحن إذ نطالع

في كتب الأصول والنحو والإعراب نجد فيها ذكرا لكثير من مسائل المخالفة في مقابل الصواب، منشورة وسط المسائل النحوية، إلا أننا لا نجد ما ينفرد بهذا الأمر في مؤلف جامع، استجلاء ودراسة وتحليلا؛ إذ في كتاب سيويوه، ومعاني الفراء، وإنصاف ابن الأنباري، ومشكل إعراب القرآن للقيسي، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وخصائص ابن جني، وهمع السيوطي، وغيرها كثير، مما تناثرت فيه مواد المخالفة في مختلف صورها.

ومن المعاصرين؛ ناقش مسألة مخالفة الإعراب تمام حسان في كثير من مؤلفاته إذ عالج مظاهر المخالفة في جميع أنماطها ومختلف مستويات اللغة. ومحمد حماسة عبد اللطيف في (العلامة الإعرابية بين القدم والحديث) في فصل: (الترخص في العلامة الإعرابية). كما عقد لها في كتابه (اللغة وبناء الشعر) فصلا عنونه بـ (من قضايا بناء الشعر)، وقد عالج في كليهما بعض ما يتعلق بهذه المسألة. كما تكلم عن بعض جوانبها محمود سليمان ياقوت في (ظاهرة الإعراب). وخصص لها كمال قادري في رسالته: (ظاهرة التطابق النحوي في القرآن الكريم) فصلا اعتنى فيه ببعض ملامساتها. كما اطلعت على رسالة محمد بن عبد الرحمن السبيهيين موسومة بـ (مسائل الخلاف النحوية في ضوء الاعتراض على الدليل النقلي)؛ فيها شيء مما سبق. وهي كتب أفدت منها كثيرا في صياغة أوليات تصور للمسألة، رغم إحساسي بتقصيري في إفائي حقها من الدرس والتحليل.

ولهذه الدراسة هدفان اثنان؛ الأول منهجي نظري، يتمثل في تقصي أهم ما تناثر مما انتاط بهذه المسألة، ومحاولة تخريج تفرعاته على أصولها المقصودة، والثاني عملي واقعي؛ يعنى بالبحث في سبل توظيف فكرة المخالفة في شيوع مهارات الأداء اللغوي السليم نحويا، من خلال الإفادة منها في العناية بالقواعد التي تجيء على سنن العرب في غير شطط ولا تفريط ولا تعسف. وهي المسألة التي لأجلها وجد علم النحو والإعراب أول مرة، وقد صارت ديدن المجتهدين من المعاصرين. فمجال الدراسة إذا، هو ما يمكن للمتكلم من خلاله الخروج عن القاعدة لغرض مقصود، أي ما يتطلبه الاستعمال وقد تقرر في النظام النحوي خلافه. لذا فهي تنهل من نص مجمع عليه، وهو ما يمثل عربية الاحتجاج، من القرآن الكريم وكلام العرب، شعره ونثره أو هو كل ما صيغ وفقا لنظام اللغة العربية التي لم تفقد جملة القرائن المعنوية واللفظية فيها خصائصها الإبلاغية.

وطبيعة البحث تقتضي الاستناد إلى المنهج المعياري الذي يقوم على تصنيف الظاهرة وتحديد خصائصها من الوجهة القياسية ذات البعد المعياري. ولأجل الكشف عن المخالفات التي تعتري الأصل، عمدت إلى المنهج الوصفي الاستقرائي؛ ملاحظة للمخالفة في الإعراب ثم للخروج بالأحكام الناتجة عنها. وإن كان يتعذر السلامة من تداخل المناهج في الدرس اللغوي وغيره.

وقد جاء البحث في فصل تمهيدي وفصلين آخرين؛ ففي التمهيد أصلت لظاهرة المخالفة في الفكر الإنساني، واللغوي بصفة خاصة، وكيف ترسخت في تراثنا اللغوي ممارسة ثم دراسة، وعلاقة كل ذلك بمقررات النظام النحوي وأساسه.

ثم عاجلت في الفصل الأول ارتباط مخالفة الإعراب باعتبارها ممارسة فردية أو استعمالاً جماعياً بالدرس النحوي، من خلال فكرة التطور أو التغير أو الخطأ. معرجاً على ما ينبغي تعهده من مسائل النشأة ومتعلقات الإعراب، وخاتماً بمسوغات المخالفة الإعرابية التي يتطلبها الاستعمال.

وفي الفصل الثاني تفصّيت بعض صور المخالفة الإعرابية في مدونة تراثنا النحوي من خلال متعلقات التعدد اللهجي من جهة، وظواهر الحن والضرورة والشذوذ، فيما تناثر في مدونه اللغة العربية التي تفانى العلماء في تسجيلها، مع محاولة تخريج فروع مسائلها على أصول النظام النحوي المستقر من جهة أخرى، وختمته بمبحث يعني بجدوى توظيف المخالفة عند المتقدمين والمتأخرين في مجازاة الأداء اللغوي السليقي وانتحائه.

وقد فرغت من بعض حاجات الفكر والفؤاد؛ أرى أن واجب الوفاء يقتضي الاعتراف بالفضل لمن هو أهله؛ إلى أستاذي الدكتور كمال قادري، على ما أولانيه من توجيه ورعاية من خلال إشرافه على هذا البحث في بدايته، وعلى ما صبغه فيّ من وجهات نظر لكثير من متعلقات اللغة. ثم الشكر الموفور لأستاذي الدكتور محمد الحباس على تحمله الإشراف على هذا البحث بعد ذلك، وعلى صبره ونصحه، صبر مرب ونصح مخلص. ثم العرفان والتقدير لقسم اللغة العربية بجامعة الجزائر العريقة، ممثلاً في أساتذة حلقات البحث الفضلاء، وأخص بالذكر منهم، الأستاذ عبد الحميد بوراوي، على تفضله بالتعهد والنصح.

وبعد؛ فهذا جهد مبتدئ أكد ما فيه الإخلاص وحب الإطلاع مع حسن القصد، فإن كانت؛ فمن الله عز وجل وحده، وله الفضل والمنة، وإن كان خلافه، فحسبي أني حاولت، وأسأله التوفيق والسداد.

22-01.....	الفصل التمهيدي: النظام النحوي والمخالفة الإعرابية
01	توطئة: طبيعة النظام اللغوي
07.....	المبحث الأول: تأصيل الظاهرة
07.....	- أولاً: مقررات النظام النحوي
09.....	- ثانياً: مدلول المخالفة اللغوي
10.....	- ثالثاً: ارتباط فكرة مخالفة الإعراب بالنظام النحوي
11.....	- رابعاً: المخالفة الإعرابية في عصور الاحتجاج
16	المبحث الثاني: صلة المخالفة بمادة التقعيد النحوي
16.....	- أولاً: الأسس التي تبني عليها القواعد
18.....	- ثانياً: مسارات مخالفة الإعراب في ثنايا النظام النحوي
78-24.....	الفصل الأول: المخالفة الإعرابية وصلتها بعلم النحو
24.....	المبحث الأول: علم النحو؛ أهميته وماهيته
24.....	- أولاً: أهمية علم النحو
25	- ثانياً: الدلالة اللغوية لمصطلح النحو
27.....	- ثالثاً: الدلالة الاصطلاحية لعلم النحو
30.....	المبحث الثاني: الإعراب؛ ماهيته وتطوره
30.....	أولاً: أصالة الإعراب في اللغة العربية
33.....	ثانياً: تداخل مصطلح النحو بمصطلح الإعراب
34.....	ثالثاً: ماهية علم الإعراب ودلالته
41.....	رابعاً: الغرض من الإعراب
41.....	1- الإبانة عن المعاني
45.....	2- السعة في التعبير
46.....	3- الدقة في المعنى
48.....	4- الوظيفة الفنية البلاغية
49.....	خامساً: الإعراب والمعنى
57.....	أ- الحركات غير الدالة على المعنى
57.....	1- علامات البناء
57.....	2- اختلاف اللغات
58.....	3- الإتيان والمجاورة
59.....	4- النقل وحذف الحركة لسبب إعرابي
60.....	5- علامات الحكاية
60.....	ب- إنكار دلالة الحركة الإعرابية على المعنى
64.....	المبحث الثالث: المخالفة الإعرابية وعوامل نشأة علم النحو
66	أولاً: واجب البيان
69	ثانياً: خوف اللحن
71.....	ثالثاً: مقتضى الانتحاء
72	رابعاً: داعي التوحيد
75.....	خامساً: سنة التغير
78.....	المبحث الرابع: مسوغات المخالفة الإعرابية
78	أولاً: مراجعة الأصول المتروكة برد الشيء إلى أصله
79	ثانياً: التوسعة والإعداد لوقت الحاجة
80.....	ثالثاً: الافتتان في الأساليب بحسب الأغراض البلاغية
82.....	رابعاً: القياس الخاطئ
133-85	الفصل الثاني: المخالفة الإعرابية في مدونة اللغة العربية
85.....	المبحث الأول: التعدد اللهجي وأثره في المخالفة الإعرابية
88.....	- أولاً: الظاهرة الأولى: تنوع علامات البناء والإعراب في صيغة (فَعَال)
89.....	- ثانياً: الظاهرة الثانية: الأسماء الستة
91.....	- ثالثاً: الظاهرة الثالثة: المُتَنَّى والملحق به

- رابعا: الظاهرة الرابعة. جزم المعتل الآخر.....	92
- خامسا: الظاهرة الخامسة: الحركة الظاهرة بين الإثبات والحذف.....	94
- سادسا: الظاهرة السادسة: في إعماله بعض النواسخ الفعلية.....	96
- سابعا: الظاهرة السابعة: في التعدد الوظيفي لـ (إنَّ وأخواتها).....	97
- ثامنا: الظاهرة الثامنة: التعدد الوظيفي للمستثنى.....	100
المبحث الثاني: ظواهر لغوية متعلقة بالمخالفة.....	102
- أولا: الشذوذ.....	102
- ثانيا: الضرورة.....	108
- ثالثا: اللحن.....	115
المبحث الثالث - المخالفة وما يستجد من أنماط لغوية مفتوحة.....	126
- أولا: أهداف تعليم القواعد.....	126
- ثانيا: المخالفة والأنماط اللغوية المفتوحة.....	127
خاتمة.....	134
الفهارس.....	151-138